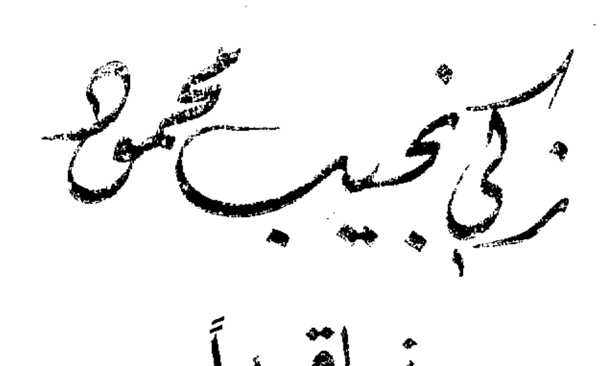


ناقداً

سعيد عدنان

كلية التربية / جامعة الموصل

هو اديب ولد في مصر سنة ١٩٠٧ وكتب المقالة المبدعة على شرائطها ، وله في ذلك «جنة للعبيط» و «قصاصات للزجاج» ولك ان تعده من جيل يتلو للبشرى وللزيات وطه حسين ومحمد عوض محمد ، هذب المقالة وصفاها وادارها على فكرة واحدة ، واشاع في ثناياها روحا فلسفية ، اوسمها حكمة ، وهو فيلسوف منطقي ، درس الفلسفة في الغرب (انجلترا) ، وعاد يدرسها في بلده ، وقد اتخذ له من مذاهب الغرب الفلسفيـة ، مذهب الوضعية المنطقية(*). وراح يدعو اليه ، ويشرحه ، ويرى فيه حلا لقضايا العصر ،

(*) الوضعية المنطقية : مذهب فلسفي انشأته جماعة في سنة ١٩٢٢ ، اوقف مهمة الفلسفة على التحليل المنطقي للفكر ، فليس للفيلسوف ان يقول شيئا عن العالم الخارجي ، وانما هو يحلل ما يقوله العلماء تحليلا منطقيا ، وهي فلسفة تنفي وجود ما لايدركه الحس ، وتعد الميتافيزيقا عبارات فارغة لاتقول شيئا ولايصح ان توصف بالصدق والكذب لان مايوصف بالصدق والكذب هو مايتحقق منه بالقياس إلى الواقع والميتافيزيقا لاتقاس إلى الواقع ، من اعلام هذه المدرسة : كارناب وهانز ر اشنباخ وآير .
للتفصيل فيها يراجع : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، الموسوعة الفلسفية .
المعجم الفلسفي .

واذ كان كذلك فقد ألف المنطق ليشيع منطق الوضعية في الثقافة العربية وهو مفكر ، دعا في اول عهده الى حضارة الغرب ثم اذ تقدم به العصر ، وازداد علما وخبرة وتجوبة ، واغتنى ، ورجع الى التراث العربي لينظر فيه ، وليأتي الى عصره بما يراه صالحا من ثمار الاقدمين والصالح لديه من التراث هو ما اتخذ من العقل منهجا ، وله في ذلك «تجديد الفكر العربي» و «المعقول واللا معقول» . وهو مترجم شارك فيه ترجمة «قصة الحضارة» لديورانت ، وترجم «تاريخ الفلسفة العربية» لبرتراندرسل .

هو اديب فيلسوف ، ومن كان كذلك لابد ان ينظر في الادب من حيث ماهيته ومن حيث ما يميزه مما سواه ، وان ينظر في النقد وطرائقه وما له من شروط وقد فعل ذلك زكي نجيب محمود ، وان كان يسمي عنايته بالادب والفن هواية (١) فانها لدى التحقيق اكثر من هواية ، لانها متصلة بمذهبه الفلسفي ولانك تستطيع ان تعد مذهبه في الادب والنقد تجلياً للوضعية المنطقية ، الفلسفة التي يدعو اليها وهو بذلك ناقد فيلسوف يصدر في نقده عن اصل فلسفي يرجع اليه . ومن صدر من النقاد عن اصل فلسفي ، اتسق نقده ، واتضح منهجه ، وعمت نظرته ، ودل على مايريد من الادب في صدر مؤلفاته ، لكي يسير القارىء معه وهو على بينة .

اورد زكي نجيب محمود آراءه المتصلة بالادب في كتبه الاتية : «جنة العبيط» الصادر سنة ١٩٤٧ ، وفيه مقدمة في المقالة الادبية وشروطها و «قشور ولباب» الصادر سنة ١٩٥٧ و (فلسفة وفن) الصادر سنة ١٩٦٣ ، وقد فرّق هذا الكتاب في كتابين هما (مع الشعراء) و (فلسفة النقد) الا انه اضاف الى الكتابين بضع مقالات لم تنشر في (فلسفة وفن) . وليس من هذه الكتب ما ألف لكي يكون كتابا ، وانما هي مقالات نشرت في المجلات الادبية اولا ثم جمعت في كتب .

ولقد اجمل زكي نجيب محمود مذهبه في الادب ، اذ قال ، ان الادب مهما تكن الصورة التي جاء عليها من شعر او قصة او مسرحية ينبغي ان يعبر عن نفس الأديب اولا وينبغي ان تتكامل اجزاؤه في بناء يكون بمثابة الكائن الفرد ثانيا (٢) .

---

(١) ينظر قشور ولباب ، المقدمة ، ه .

(٢) ينظر فلسفة وفن : ٣٦٦ .

وهما شرطان ، الاول منهما انحدر اليه من مدرسة الديوان ، اذ اشترط العقاد ، ان يعبر الشعر عن نفس صاحبه تعبيرا صادقا وان يبتعد عن تكلف الاحاسيس والمشاعر ، وان يتلقى شعوره هو بالاشياء ويعبر عنه ، لا ان يتلقى شعور اسلافه من الشعراء . غير انه فيما بعد تخلى عن هذا الشرط وقال ان الادب خلق جديد مبتكر وليس تعبيرا عن اشياء العالم الخارجي او عن نفس صاحبه (١) . وأبقى على شرطه الثاني ، ان يكون النص الادبي فردا لاشبيه له من النصوص الادبية الاخرى قديمها وحديثها ، وهنا يكمن الفرق بين الادب والعلم ، فاذا وقفت عند صفات الفرد الواحد ، وسجلت ما يختلف به عما سواه ، وما يعتوره من حالات لاتعتور غيره فانت اديب ، واذا تجاوزت هذه الصفات الفردية الى ما هومشترك بين النوع كله ، فانت عالم (٢) . وهنا ايضا تتصل الحياة بالادب ، او قل يحاكي الادب الحياة ان كانت ثمة محاكاة ، يحاكيها بأن يخلق نماذج فردية لا مثيل لها ، كما ان الحياة تخلق افرادا يعزّ بينهم التماثل التام في كل شيء ، لان الشيئين اذا تماثلا تمام التماثل استغني باحدهما عن الاخر ، وكذلك في النصوص الادبية فانها ينبغي ان تصور حالات فردية مشخصة لا افكارا كلية . وينبغي ثانيا ان لا تماثل النصوص السابقة عليها تمام المماثلة . وبذلك يكون لدينا مقياس نقدي يدعو الى الجدة والابتكار من جهة ، والى الوقوف عند صفات الاشياء الخاصة المميزة لها عما سواها .

ومع ذلك كله فان النص الادبي اذ يجيء منطبقا على هذه الشروط التي اشترطها زكي نجيب محمود فانه لايعني ان يكون منقطع الصلة بنفس صاحبه ، او منقطع الصلة بالواقع الخارجي . كما لايعني ذلك ان يكون من غير المجدي ان تسأل عن معناه او مغزاه ، وذلك ان تحليل النص قادر على ارجاعه الى عناصره الاولى في نفس صاحبه ، وفي الواقع الخارجي . واذ يذهب زكي نجيب محمود الى انه لا معنى للنص الادبي يسأل عنه ، فانه يلتقي بالناقد المصري الاخر رشاد رشدي (٣) ، حين يرى ان النص الادبي لايعبر عن نفس صاحبه ، ولايعبر عن الواقع الخارجي ، ولاينبغي ان يكون له معنى يشار اليه انما معناه متكون من ائتلاف اجزائه .

---

(١) ينظر قشور ولباب ، المقدمة و — ز .

(٢) ينظر فلسفة وفن ، المقدمة .

(٣) ينظر النقد والنقد الادبي : ٥٧ وما بعدها .

وهذا موقف ثابت لدى الناقد زكي نجيب ، لايكاد يمل من تكراره كلما عرض للادب ، ولقد عبر عنه في مقابلة معه اجلى تعبير : «القطعة يجب ان تفهم من داخلها بحيث اطرح من حسابي صاحبها الذي انشأها والمجتمع الذي نشأت فيه كأنني وجدتها ملقاة في الصحراء ، ولا ادري من اي عصر جاءت ولا في اي مجتمع نشأت ولا من يكون انشأها ... فانت اذا صادفت شجرة فلا تقول لنفسك كيف تعبر هذه الشجرة عن خالقها ولاتقول لنفسك كيف تصور هذه الشجرة ما حولها ، انما تأخذها باعتبارها كائنا قائماً بذاته تستطيع ان تفهمه بتحليله الى اجزائه» (١) .

غير ان القصيدة (النص الادبي عامة) ليست كالشجرة ، لانها متكونة من كلمات ولان لهذه الكلمات مدلولات ومعاني قبل ان تنتظم في القصيدة ، ولابد ان يكون انتظام هذه الكلمات في القصيدة قد خصص معناها ، فلا بد من الرجوع الى مدلولاتها الاصلية ومقارنتها . بما اصبحت عليه في نسيج القصيدة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان في القصيدة مشاعر وافكارا ستتضح كثيرا اذا درست شخصية شاعرها ولعل فيها اشارات تاريخية ، وعند ذلك لن يفهم المعنى على وجهه الاكمل الا بعد معرفة هذه الاشارات التاريخية . واذن فالنص الادبي ليس كيانا منفصلا عما حوله ، لا رابطة له بما سواه ، وانما هو نص يندرج في سياق ، ولا يفهم الفهم الصحيح الا اذا وضع في سياقه .

اما كيف يصوغ الاديب ادبه؟ فذلك عند زكي نجيب محمود «ان يلتقط الصورة من حوادث الواقع ثم يصب فيها ما شاء من مادة» (٢) . وبذلك يبلغ الكشف عن جوهر العالم الحقيقي ، «لان جوهر هذا العالم هو الصور التي تنصب فيها الحوادث ، فالحوادث ذاتها تجيء وتذهب ، والاشخاص انفسهم يولدون ويموتون ، ولكن هناك صورا خالدة لاتذهب ولاتموت ، فالعاشقان في زمن مينا وخوفو يختلفان في شخصيتهما عن العاشقين يسيران اليوم على ارض الجزيرة ، لكن الصورة واحدة ، وعلى الفنان ان يلتقط هذه الصورة بابراز مميزاتها كما يراها هو ، ثم يصب فيها مادة لم تقع بذاتها ، لابين عاشقي العصر القديم ولابين عاشقي العصر القائم (٣) . ويبدو ان هذا الموقف النقدي الذي يفصل بين «الصورة» أو «القالب» وبين «المادة» التي ينبغي ان توضع في «القالب» او «الصورة»

(١) مجلة قضايا عربية ع ٩ ، ك ١٩٧٥ ص ١٣٨ .
(٢) فلسفة وفن : ٣٦٩ .
(٣) فلسفة وفن : ٣٧٠ .

أقول ان هذا الموقف صدى للفلسفة الوضعية المنطقية التي يعتنقها الناقد ، وهي فلسفة لا تعني بالمحتوى او المضمون وانما اول مايعنيها (القالب) او (الشكل) الذي جاء فيه المحتوى .

غير أن الاديب اذ ينشيء أدبه لايلتقط «الصورة» وحدها مفردة ، ثم يضع فيها «المادة» وانما هو لديه «مادة» اولا ، لديه محتوى من الافكار او الاحاسيس والمشاعر يريد ان ينقلها الى المتلقي ، فيخرجها على انسب الصور لها ، وعلى هذا فان صورة النص الادبي منبثقة منه ، ملتئمة معه لا انفصال بينهما .

ولكن للأدب رسالة يدعو اليها ، وغاية يسعى نحوها ؟ أم انه معدوم الرسالة غايته ان يوجد وكفى ؟

وكأن زكي نجيب محمود القى على نفسه هذا السؤال مرات ، فلقد أجاب عنه في اكثر من مقال ، اجابات بعضها يدل على ان الادب غاية في نفسه وأن ليس وراءه شيء يدعو اليه (٢) ، وبعضها يدل على ان الاديب رائد في اهله يصور لهم المثل العليا ويدعوهم اليها (٣) ، واخرى ان الادب لايعلم حتى يستكمل الشروط الفنية له ، ومع ذلك فانه لايعظ ولايخطب وانما يوحي إيحاء (١) . واذا كان القولان الثاني والثالث متآزرين متعاضدين ، فان القول الاول يبدو متعارضا معهما . ولعل مما يزيل التعارض ان نفهم ان الناقد اراد بالقول الاول ، ان يعزز مذهبه فيه ان قيمة النص الادبي لاتأتي من قيمة ما ينطوي عليه من افكار ، وانما قيمته في نفسه من حيث انه نص ادبي مؤتلف الاجزاء متآزر العناصر .

هذا ما يأتلف مع مذهب زكي نجيب محمود في الادب ، فالاديب الحق لديه هو من كان ذا رسالة في الحياة والمجتمع لاجل الرقي بهما نحو الافضل «الكاتب الحق مواطن ناقد ، كما ان الطبيب مواطن طبيب والمهندس مواطن مهندس ... الادب هو — كما قيل — نقد الحياة بكل جوانبها ، تمحيصا ومراجعة وتعديلا وتقويما على ألاّ يجيء شيء من ذلك بالطريق الوعظي المباشر» (٢) .

واذ يكتب مقالة بعنوان «الشعراء الشبان في الجيل الماضي» يجعل من مزايا هؤلاء الشعراء — الشابي والتيجاني والهمشري — انهم اصحاب رسالة يريدون ابلاغها الى ابناء امتهم (٣) . فليس الادب عنده كلاما جميلا غايته الامتاع وكفى ، وانما هو موجه ومقوم

(١) ينظر مع الشعراء : ٩٩ .
(٢) ينظر فلسفة وفن : ٣٦٧ .
(٣) المصدر السابق : ٣٩٩ .

ومجسد مثل عليها ، شريطة ان يؤدي ذلك كله من حيث هو ادب ، اي ان لايتخلى عن شروطه الرئيسة .

رأيه في القصة :

هذه صورة الأدب عامة لدى زكي نجيب محمود ، غير انه لم يقف عند هذه الصورة العامة، وانما تعداها الى انواع الأدب يرسم اركانها ، والاصول التي ينبغي ان تقوم عليها ، فقد وقف «عند القصة» ورأى انها ينبغي ان تجري على ثلاثة ابعاد ان اريد لها ان تكون قصة عميقة الغوص في الطبيعة الانسانية ، خالدة تقرأ على مر الزمن . اول تلك الابعاد: الحوادث اوالوقائع التي تقع لاشخاص القصة وهي كثيرة لاتكاد تقف عند حد وهو بعد أولي قليل القيمة او معدومها ، ان لم يشفع بالبعد الثاني . وهو الاطار او الصورة التي تقع فيها تلك الحوادث ،فتلم اطرافها، وتحدد معالمها وتعطيها مغزى دون غيره: الى هنا نكون قد حصلنا على حوادث ادرجت في اطار ينتظمها ويهبها شكل «القصة» ولكنها لكي تصبح «قصة» عميقة الكشف عن الطبيعة الانسانية، ينبغي ان يهتدي القاص الى المبدأ او الأصل الذي بمقتضاه تسلك الشخصيات ،بحيث تصدر عنه وترجع اليه. ويصبح سلوكها مفهوماً بالقياس اليه، وعند ذاك تكون شخصية عميقة لها جذور ،غير مسطحة (٣)

وتلك نظرة نافعة في «ميدان القصة» فلا يصح ان نسمي الحوادث جمعت بعضها الى البعض «قصة» من دون ان يكون هنالك اطار ينتظمها ويهبها مغزاها، والاطار هو الصلة العضوية بينها، بحيث يقوم اللاحق منها بسبب من السابق.

---

(١) ينظر مع الشعراء /١٩٢ .

(٢) في فلسفة النقد : ١٣٣ .

(٣) ينظر فلسفة وفن : ٣٩٠ – ٣٩١ .

رأيه في المقالة الأدبية:

تقدم في صدر البحث ان زكي نجيب محمود يكتب المقالة المبدعة على شرائطها، غير انه لم يكتف بذلك وانما سعى الى ان يؤسس مايكتب على اصول ، تجعل منها نوعاً ادبياً يختلف عن المقالة التعليمية التي غايتها شرح فكرة او معالجة قضية يقول: (شرط المقالة الادبية ان يكون الاديب ناقما، وان تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل ،فان التمست في مقالة الأديب نقمة على وضع من اوضاع الناس فلم تجدها وان افتقدت في مقالة الاديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه فاعلم ان المقالة ليست من الأدب الرفيع في كثير او قليل... نريد من كاتب المقالة الادبية ان يكون لقارئه محدثا لامعلما بحيث يجد القاريء نفسه الى جانب صديق يسامره لاامام معلم يعلمه .. نريد للقاريء أن يشعر وهو يقرأ المقالة الأدبية أنه ضيف قد استقبله الكاتب في بيته ليمتعه بحلو الحديث.. (نريد لها) ان تكون غير نسق من المنطق، ان تكون اقرب الى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية منها الى الحديقة المنسقة المنظمة (١).

وهو هنا ناقد نظري يرى الحاجة الى نوع ادبي فيضع شروطه التي اصبح بها نوعاً يختلف عما سواه ويدعو اليه . ولعل مما يؤخذ عليه في دعوته هذه انه اغفل من سبقه من كتاب المقالة الأدبية في مصر ، ولقد كتب في هذا النوع المنفلوطي ومقالته «الدفين الصغير» مما يذكر في نماذج المقالة الأدبية اذ تدرس نوعاً (٢) ولقد كتب الزيات مقالات أدبية ومقالته (ولدي) نموذج آخر من نماذج النوع ، وكتب آخرون، فليس زكي نجيب محمود اول من كتب في الأدب العربي الحديث مقالة أدبية ، وكان الأولى اذ ذكر شروط المقالة الادبية ودعا اليها ، ان يذكر من سبقه الى هذا النوع ثم يذكر مايختلف به معهم ان كان يختلف — .

هو معنى بالمقالة الادبية والدفاع عنها، وجعلها نوعاً أدبياً قائماً برأسه ، يتوسل الى ذلك بشتى الوسائل ، مرة بكتابة المقالات الادبية ، ومرة بتأسيس اصول لها ، ومرة اخرى بالسخرية ممن لايعدونها أدباً . فلقد كتب مقالة بعنوان «محاكمة الأدباء» جعل القاضي فيها يحاكم الأدباء ويخرجهم من دنيا الادب ان لم يكونوا من كتاب القصة او المسرحية

---

(١) جنة العبيط : ٥ — ٦ .

(٢) ينظر مقدمة في النقد الأدبي : ٢٩٢ .

حتى اذ نودي على بيكون الانكليزي ومونتيني الفرنسي ، وكلاهما كاتب مقالة أدبية ، جابهما القاضي انكما مزوران ، اغويتما المؤرخين ، ودخلتما دنيا الادب ، ولم تكتبا قصة او مسرحية ، ويجيب بيكون باسمه واسم صاحبه ، اننا نكتب المقالة الادبية ، ثم يشرح له مايجعل هذا الضرب من الكتابة نوعاً أدبياً . » (١)

مرحلتا النقد الادبي

تلك صورة الادب وانواعه وما يريده زكي نجيب محمود ان يكون عليه ، وهو اذ يرسم شروط الادب ويدعو الى بعض انواعه ويحدد اهدافه اذ يفعل ذلك كله ، فانما هو ناقد نظري ، يمتلك تصوراً للنقد ولما ينبغي ان يقوم به ، والنقد لديه ادب يقوم على ادب بالتحليل والتعليل ، وله مرحلتان الاولى مرحلة الذوق اذ يتلقى الناقد النص الادبي ، فيستجيب بالاستحسان اوعدمه ، فان وقف عند هذه المرحلة فما هو بالناقد وانما هو قاريء ، اما اذا انتقل منها الى المرحلة الثانية حيث يحلل فيها اسباب الاستحسان ويدل على مواطن الجمال في النص ، ان كان النص جميلاً عنده ، او يدل على اسباب الرداءة فيه ، ان كان رديئاً ، ان انتقل من مرحلة الذوق الى مرحلة العقل المحلل فهو الناقد (٢) .

ولعل الناقد هنا يتأثر بلاسل آبر كرومبي اذ يقول : «إن المقدرة على تذوق الأدب تختلف عن المقدرة على تحليله تحليلاً منطقياً » (قواعد النقد الادبي :٣) .

اما اذا وقف الناقد عند النص الادبي متذوقاً لجماله ، ثم شرع يكتب من وحي هذا النص معرباً عن اعجابه واستحسانه من غير ان يعلل أسباب الاستحسان فهو يكتب ادباً لا نقداً او (سمّ هذا الضرب ان شئت نقداً تأثرياً (٣) شرط النقد الادبي ان يبدأ الناقد بالذوق ، ثم يلتجأ الى العقل ليحلل ويعلل وليهتدي الى معرفة تصح عند الاخرين ليريهم من جماليات النص الادبي ما رأى .

لقد كان زكي نجيب محمود واثقاً بالعقل كل الثقة من حيث انه قادر على التفسير والتعليل . وتلك نزعة علمية ، ان صحت في ميداني الفلسفة والعلم فانها لاتصح الصحة كلها في ميدان النقد الادبي ، وذلك انا مهما حللنا وعللنا في الادب فأن شيئاً منه يبقى عصياً

(١) ينظر في فلسفة النقد الادبي : ١٦٦ — ١٦٧ .

(٢) ينظر قشور ولباب : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ٨٩ .

على التعليل ، ممتنعاً على التفسير ، فان اردنا ان نحصر علل الجمال في نص من النصوص نكن كمن يريد الاحاطة بما لايحاط به ، وذلك ان في النص الجميل اشياء يدركهـــا الحدس ولايستطيع العقل ان يعللها .

ولكن ماجدوى النقد اذا كان الكاتب يكتب فيفهم عنه المتلقي ؟ هنا يجيب زكي نجيب محمود ان المتلقين ليسوا سواء في القدرة على فهم النصوص الادبية ولما كان الناقد من حيث هو ناقد اقدر على فهم النصوص ، وتجاوز الظاهر منها الى ماوراءه ، فانه سيزيد القارىء تبصراً بالنص ، هذا من جهة . ومن جهة اخرى فان النص المنقود اذا كثرت عليه تفسيرات الناقد وهبته معاني جديدة ، وجعلت منه اخصب وارقى ، وصار القراء ينظرون في النصوص الادبية عبر ما كتب عنها من نقد فاذا هي ثرية غنية ، خصبة ،وعلى هذا أفيجوز للناقد ان يهتدي من النص الادبي الى تفسير لم يخطر في ذهن صاحبه ؟ يرى زكي نجيب محمود ان للناقد الحق في ذلك ، وان صاحب النص الابداعي ليس اولى الناس في تفسيره ، وليس اقدرهم على ذلك ويستدل قائلاً : « ولو كان الانسان قادراً دائماً على فهم سلوك نفسه من سطحه الى اعماقه ، لما احتاج الناس الى اطباء متخصصين ، يلقون للمرضى النفسانيين الاضواء على تلك الاعماق » (١) . غير ان هذا الحق ليس مشاعاً لكل من امسك بورقة وقلم ، وانما هو للناقد فقط ، ويسارع زكي نجيب محمود ، للتفرقة بين ثلاثة رجال قد يختلط الامر بينهم « كاتب التعليق الادبي على كتاب كالتعليقات التي تنشر في الصحف عادة ، والناقد ، والفيلسوف الاستاطيقي ، فاما اولهم فمهمته ان يقدم كتاباً للقراء ، تقديماً يظهر حسناته وسيئاته عن محتواه ، وهو غير ملزم في هذا ، التقديم ان يبرز مبدأه النظري في النقد ... واما الناقد فصاحب وجهة نظرية ينظر منها الى كتاب واحد بعينه ، بل الى كل كتاب آخر يعرض له... فإذا كانت الاولوية عند المعلق الادبي للجزيئية المتفردة ،فالاولوية عند الناقد للنظرية العامه، ثم يأتي بعد ذلك مستوى اعلى في درجات التعميم ، هو المستوى الذي يصعد اليه صاحب الفلسفة الجمالية (الاستاطيقاً) ، ويقيمها على القواعد العامة نفسها، التي كان الناقد قد الفلسفة في مختلف الفنون » (٢)

ومنهج زكي نجيب محمود في النقد هو تحليل النص الى عناصره ، بالوقوف عنده عبارة، بل كلمة كلمة، لكي تعرف طريقة الكاتب في كتابته،ويقول ان هذا النهج ليس

(١) في فلسفة النقد : ١١٠ .

(٢) في فلسفة النقد : ١٢ .

بالجديد، بل هو منهج النقاد القدامى في معالجة النصوص الادبية في الأدب العربي وهو منهج المفسرين اذ يقفون عند آيات القرآن الكريم (١) وهو منهج الآمدى اذ وقف موازنا بين ابي تمام والبحتري ، وهو المنهج الذي يحقق النقد الادبي استقلاله عما سوا من سيدين المعرفة ،وهو المنهج الذي يكشف النص الأدبي بما يسلط من ضوء عليه ، (ذلك ان الناقد الذي ينظر الى الكتاب المنقود نظرة التحليل النفسي مثلا يمكن اعتباره من علماء النفس بقدر مايمكن اعتباره من نقاد الادب ، والناقد الذي ينظر الى الكتاب المنقود نظرة اجتماعية ،يحاول ان يتخذ منه وثيقة تدل على اوضاع معينة في حياة المجتمع يمكن ادخاله في زمرة علماء الاجتماع بقدر ما يمكن ادخاله في زمرة نقاد الأدب وهكذا اما الناقد الذي ينصرف بكل جهده نحو تحليل النص الادبي نفسه، فهو لاشيء الا ناقدا اديبا خالصا: (٢).

غير انه، مع اخذه بمنهج التحليل النصي، لايذكر المناهج النقدية الاخرى، كتلك التي تفيد من علم النفس في فهم النص الأدبي وصاحبه، ونرى في النص انعكاسا لحياة كاتبه، او تلك التي تفيد من علم الاجتماع ،وترى في النص انعكاسا لحياة المجتمع و تعبيرا عما يصطرع فيه، او تلك التي تنتفع بالميترلوجيا وتفسر بها الأدب. وهو لاينكر هذه المناهج ،ولا يراها متعارضة ،وانما هي متآزرة متكاملة غايتها الكشف عن الحقيقة الادبيه (٣). ومع ذلك فان ناقدا لايستطيع ان يتبع هذه المناهج معا في معالجة نص ادبي واحد، ذلك انه لايستطيع ان يكون متمكنا في هذه المناهج جميعها، ماهرا في تطبيقها كلها على النصوص الأدبية. ثم ان ميوله الشخصية ستوجهه نحو منهج دون غيره، فلا بد اذن ان يكتفي الناقد بوجهة نظرة واحدة ينظر من خلالها الى النصوص ،ويترك وجهات النظر الاخرى لغيره من النقاد.

وليس للناقد ان يقبل على النصوص الادبية مزودا بالمذاهب والاراء، ابتغاء ان يجدها او يجد اصداءها في مالديه من نصوص لان ذلك يلقي حجابا بينه وبين النصوص: (٤)

(١) ينظر المصدر السابق : ١٢٢ .
(٢) في فلسفة النقد : ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) ينظر المصدر السابق : ١١٥ .
(٤) ينظر في فلسفة النقد : ٢٢٧ .

فيعاق الفهم ،والناقد قاريء اولا، يقرأ النص، ويقف عند جماله، ويرجع الجمال الى أسبابه، وخير مبادىء النقد تلك التي تنبثق من النص نفسه، لاان تفرض عليه فرضا من خارجه .

ويرى زكي نجيب محمود انه من قلب الاوضاع ان يجعل الناقد من نفسه مشرعا للاديب، يحاول ان يرسم له طريق الادب ، ويدله على ماينبغي له ان يقوم به، وذلك لان الاديب سابق الناقد، فالاديب يكتب اولا، ثم يأتي الناقد ليقرأ كتابه الاديب ، وما عمل الناقد الافهم كتابة الاديب وتفسير ما فيها من جمال . (١)

غير ان هذا الرأي ان صح بالقياس الى من توفي من الادباء ، والى الكبار من الادباء الاحياء ، فانه غير صحيح بالقياس الى الادباء الناشئين ، لان هؤلاء كثيرا مايحتاجون الى من يدلهم على طريقهم في عالم الادب ، وكثيرا مايحتاجون الى من يقوم ادبهم ، بل ان ارشاد الناشئين والاخذ بايديهم بعض من عمل الناقد .



(١) ينظر في فلسفة النقد : ٢٣٠ .

رأيه في المدارس الفنية الحديثة:

لم يقف زكي نجيب محمود عند الادب ، وانما تعدى الى فن الرسم ، وسعى ان يفسر المدارس الفنية الحديثة وان يرجعها الى اصول فلسفية قديمة ، فالمدرسة التكعيبية ترجع الى فلسفة فيثاغورس، لان كلا من المدرسة التكعيبية والفلسفة الفيثاغورية ترجع الاختلاف بين اشياء العالم الى اختلاف في الكم ، والمدرسة التجريدية ترجع الى فلسفة افلاطون، اذ رأى ان حقائق الاشياء انما تكمن في عالم المثل، حيث يسقط عن الشيء كل ما لايمس جوهره، وكذلك الفن التجريدي فانه يصور ماهو جوهري في الشيء ويسقط التفصيلات التي لاتدل على حقيقة ذلك الشيء . أما الفن الكلاسيكي فانه يصدر من فلسفة ارسطو. (١) ولعل مما يؤخذ على هذا التفسير انه لم يضع المدارس الفنية في سياقها التاريخي، ولم يبحث في العوامل المباشرة لقيامها وانما اكتفى بلمح الشبه الشكلي بينها وبين مدارس الفلسفة اليونانية، ولعل اصحاب هذه المدارس الفنية اذ دعوا اليها لم يكن في اذهانهم شيء من تلك المدارس الفلسفية اليونانية، غير ان زكي نجيب محمود يصدر عن الفلسفة الوضعية المنطقية ، التي تتبع المنهج التحليلي، ولاتقترب من المنهج التاريخي وهو وحده الذي يستطيع ان يفهم الاشياء عبر تاريخها ، وان يفهم العوامل المؤدية الى نشوئها .

(١) ينظر فلسفة وفن : ١٩٥ وما بعدها حتى ٢٠٥ .

نقده التطبيقي :

وهو ناقد لم يرد لنفسه أن يبقى في نظرية الادب ، بعيداً عن النصوص وانما انتقل من النقد النظري الى النقد التطبيقي ، ولم يكن في ذلك مكثرا ، ومتابعا لما يصدر من نصوص ابداعية ، بل انك تحس انه يلتقط من النصوص الادبية مايستطيع ان يعبر من خلاله عن فكرة من افكاره النقدية ، فتراه اذ يكتب عن شعر العقاد ، يكتب معجبا منهورا بما فيه من افكار (١) ، ويعده اقرب شيء الى فن العمارة والنحت والقصيدة الكبرى من قصائده اقرب الى هرم الجيزة او معبد الكرنك ، منها الى الزهرة والعصفور . (٢) وهو عنده شعر خالد ، والعقاد شاعر عظيم (٣) غير ان هذا « الشعر الخالد » لم يعد يذكره احد بعد موت صاحبه ، ولا تجد له صدى في شعر اللاحقين ، وانما هو في جملته افكار منظومة ، لم يستطع العقاد ان يجسد فيه مادعا اليه في نقده .

واذ يقف زكي نجيب محمود عند قصيدة العقاد (ترجمة شيطان) (٤) فانما يقف شارحا مفسرا ، او قل انه نثر القصيدة ودل على مافيها من فكر عميق جريء لكنه لم يتحدث عما فيها من شعر ، ولم يجب عن سؤال لابد أنه الح على القارىء هو ، هل استطاع العقاد ان يجعل الفكر شعرا ؟ جملة الامر ان زكي نجيب محمود لم يقف موقف الناقد الادبي من هذه القصيدة ، وانما وقف وقفة المفكر الفيلسوف الذي اخذ بما في القصيدة من فكر وجرأة.

غير ان وقفته عند البارودي ادق واعمق واصل في النقد الادبي اذ يرى ان البارودي يصدر في شعره عن قراءاته في الشعر العربي القديم ، اكثر مما يصدر عن حياته ، (ه) وعلى هذا فانه شاعر يرى الاشياء بعيون اسلافه من الشعراء ويحس بها كما احسوا بها ، فهو احرى ان يسمى مستعيدا مستذكرا ، من ان يسمى مجددا مبتكرا .

واذا يكتب عن شعر صلاح عبد الصبور تحس انه اميل الى القديم منه الى الجديد وانه يفضل الشكل السائد المألوف في الشعر العربي على الشكل الجديد ، ويسرف في تحليل قصيدة

---

(١) ينظر فلسفة وفن : ٣٠٠ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ٣٠٥ .

(٣) ينظر المصدر السابق : ٣١٤.

(٤) المصدر السابق ٣١٥ وما بعدها .

(ه) ينظر فلسفة وفن ٣٧٣١ وما بعدها

(الناس في بلادي) لصلاح عبد الصبور ، متخذا منها نموذجا للشعر الحديث اقول يسرف في تحليلها حتى لايكاد يبقى منها بين يديه شيء ويختم مقالته قائلا ان الشاعر قد اضاع القالب الشعري والمضمون معا . (١)

ولاريب ان تحليل العناصر المكونة له، ينبغي ان يعقبه تركيب يؤلف بين تلك العناصر لكي يستقيم معنى النص ويتضح ، وقد وقف زكي نجيب محمود عند تحليل هذه القصيدة واسرف فيه ، فاستوت بين يديه اشلاء ، فلاعجب ان يضع بعد هذا المضمون والقالب معـــاً .

ويتناول ديوان احمد عبد المعطي حجازي (مدينة بلاقلب) ويختار قصيدة واحـدة منه ويعالجها بمثل ماعالج به قصيدة صلاح عبد الصبور ، ويحاكمها محاكمـة منطقية (٢) كأن من طبيعة الشعر ان يخضع لمنطق العقل ، وتلك مما تضرب به فلسفة النقـد الادبي ، وذلك ان الناقد الفيلسوف اذ ينظر في النص الادبي يحاكمه بما الف مـــن منطق العقل ، ويتوخى منه الافكار قبل الصور الشعرية والعقل قبل الخيال .

غير انه لما كتب عن ديوان أدونيس (اغاني مهيار الدمشقي) استطاع ان يستجيب لشعر الشاعر ، وان يعجب بالرؤيا التي جسدها الديوان ، وان يقف عند الصور الشعرية المبتكرة ويذكرها ، مثل (يقيل اعزل كالغابة ، وكالغيم لايرو) (يصنع من قدميه نهاراً ويستعير حذاء الليل) (يحول الغد الى طريدة ويعدو يائساً وراءها) (٣) . وهو اذ ينقد هـذا الديوان يصدر عن مبدأ نقدي سليم هو : (أن تحاسب الاثر الفني المنقود بالمصدر نفسه الذي خلق ذلك الاثر على اساسـه (٤) ، ولقد سار على هذا المبدأ ، فلم يفرض على شعر الشاعر قوانين من خارجـــــه .

وعلى عناية زكي نجيب محمود بالشكل ، فانه لم يهمل المضمون ، بل انه حين كتب عن الشابي والهمشري والتيجاني في مقالته (الشعراء الشبان في الجيل الماضي) ، اوضـــح أن هؤلاء الشعراء اصحاب رسالة نحو مجتمعهم ابتغاء الرقي به الى الافضل ، وهـــم

(١) ينظر فلسفة وفن : ٣٥٧ .

(٢) ينظر المصدر السابق : ٣٥٨ وما بعدها .

(٣) ينظر مع الشعراء : ٩٦ .

(٤) المصدر السابق : ٨٧ .

(نماذج للاحساس الحاد الملتهب ، الذي يتأثر بما حوله فيتألم بائساً يائساً ، ثم يرنو ببصره الى السماء فيرجو الخير مستبشراً متفائلاً) (١) ثم اخذ يختار من شعرهم مايصور نقمتهم على الاوضاع السيئة ، وتطلعهم الى غد مشرق .

واذا كتب عن (القصيدة الثنائية للامام الغزالي) (٢) ، كان شارحاً اكثر منه ناقداً والا فان الثنائية هذ منظومة صبت فيها افكار الغزالي ، وليست شعراً كما ينبغي ان يكون عليه الشعر .

وكذلك كان شارعاً معنياً بالفكرة قبل كل شيء حين كتب عن عينيه ابن سينا) (٣) مع ان (العينية) هذه ادخل في باب الشعر من (تائية) الغزالي تلك ، وكان له ميدان متسع للقول في ، كيفية تجسيد ابن سينا لما يريد من المعاني والباسها ثوب الشعر .



(١) مع الشعراء : ١٠٠ .

(٢) ينظر فلسفة وفن : ٨٥ ومابعدها .

(٣) ينظر قشور ولباب : ٢٥٦ وما بعدها .

الخاتمة:

انه ناقد صدر عن الفلسفة في نقده ، فاتضح منهجه ، وعمقت نظارته ، هذا من جهة، افادة الفلسفة النقد اما من الجهة الاخرى، فان الفلسفة جعلته في كثير من المواقف يتطلب الفكرة اولاً ، ويقيس المعنى الشعري على قواعد المنطق ، ولاريب ان قواعد المنطق لاتنطبق على الشعر كل الانطباق ثم انه لايلاحق النتاج الادبي كله ويكتب عنه ، كما ينبغي ان يفعل الناقد المتخصص وانما يلتقط من النصوص الادبية مايستطيع ان يعبر من خلاله عن فكرة من افكاره .

ولقد يحس قاريء زكي نجيب محمود ، انه كاتب امتلك ناصية اللغة العربية ، فاستطاع أن يغرب بها على ادق الافكار الفلسفية من غير التواء او لبس ، واستطاع كذلك ان يرقى بها الى مستوى الشعر الذي يكتب عنه محللاً شارحاً . انه مشرق العبارة ، ناصع اللغة ولاريب ان اللغة الراقية من شروط الناقد .



المصادر

- جنة العبيط ، زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٤٧
- فلسفة وفن ، زكي نجيب محمود ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣
- في فلسفة النقد ، زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٧٩ .
- قشور ولباب ، زكي نجيب محمود ،مكتبة الانجلو ، ١٩٥٧
- قواعد النقد الادبي ، لاسل أبركدومبني ، ترجمة محمد عوض محمد ، مصر ، ١٩٣٦
- مجلة قضايا عربية
- مع الشعراء ، زكي نجيب محمود ، دار الشروق ط٢ ، ١٩٨٠
- مقدمة في النقد الادبي ، علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٧٩ .
- النقد والنقد الادبي ، رشاد رشدي ، دار العودة ، بيروت

